ResearchGate

See discussions, stats, and author profiles for this publication at: https://www.researchgate.net/publication/384197176

"المشاكلة في ألفاظ المكر في القرآن الكريم أسلوبُها وبلاغتُها " أنموذجات من قصص الأنبياء Rhetoric of Eloquence Style in the verses of Deception

Conference Paper · August 2024

CITATIONS
0

READS
101

2 authors, including:

مجلة المستنصرية للعلوم الإنسانية كلية التربية
Mustansiriyah University
461 PUBLICATIONS **0** CITATIONS

SEE PROFILE

All content following this page was uploaded by مجلة المستنصرية للعلوم الإنسانية كلية التربية on 20 September 2024.

The user has requested enhancement of the downloaded file.

المشاكلة في ألفاظ المكر في القرآن الكريم أسلوبُها وبلاغتُها " أنموذجات من قصص الأنبياء"

أ.د.علي أحمد عِمران

dr.aliomran7@gmail.com
الجامعة الأهلية– مملكة البحرين

المستخلص :

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن بلاغة أسلوب المشاكلة في ألفاظ المكر في أنموذجات من قصص الأنبياء، وخصائصها الأسلوبية من حيث المفهوم والدلالة مجيبًا عن السؤالين الآتيين:

1- ما المقصود بالمكر إذا نسب إلى الله ؟

2- ما القيمة البلاغية والأثر الحجاجي لألفاظ المكر الواردة في القرآن الكريم؟

وقد سميته" بلاغة أسلوب المشاكلة في ألفاظ المكر: نماذج من قصص الأنبياء " وتناولتُ بعد المهاد النظري، مفهوم المكر لغةً واصطلاحًا، والمكر ودلالاته في القرآن، والمشاكلة لغةً واصطلاحًا، ثم المكر ودلالاته في نماذج من قصص الأنبياء، وما تحمله تلك الأنموذجات من دلالات أسلوبية للكشف عن الملامح الحجاجية البلاغية لأسلوب المشاكلة، وكيف تفرّد القرآنُ الكريم بمنهجٍ دلاليٍّ واضحٍ في شأن استخدام هذه الألفاظ، وتبيان الخصائص الخارجية والداخلية لها، ومعرفة ما تتضمنه تلك الألفاظ من جوانب أسلوبية وحجاجية وبلاغية وفق استعمالاتها المختلفة.

وعليه سنحاولُ في هذا البحث استثمار المعرفة البلاغية والحجاجية في مقاربة ألفاظ المكر في النّص القرآني وعلى الخصوص نماذج مختارة من قصص الأنبياء. ونهدف من خلال هذه الخطاطة إلى إماطة اللّثام عن بعض الجوانب الخاصّة بهذا الموضوع الجدير بالدراسة والتحليل.

الكلمات المفتاحية: المشاكلة، المكر، البلاغة، الأسلوب، الحجاج، الخطاب.

Rhetoric of Eloquence Style in the verses of Deception

Prof. Ali Ahmed Omran
Associate Professor of
Ahlia University - Kingdom of Bahrain

Abstract

This research aims to reveal the eloquence of the problematic style of cunning words in examples of the stories of the prophets, and its stylistic characteristics in terms of concept and significance, answering the following two questions:

- What is meant by deception if attributed to God?
- What is the rhetorical value and the argumentative effect of the cunning words mentioned in the Holy Qur'an?

I called it "The Rhetoric of the Problematic Style in the Words of Cunning: Examples of Stories of the Prophets." I dealt with the theoretical section. The concept of cunning linguistically and idiomatically. Cunning and its connotations in the Qur'an, and problematic language and terminology. Then cunning and its connotations in examples of the stories of the prophets. And the stylistic connotations and the models that bears to reveal the rhetorical features of the problematic method, Therefore, how the Holy Qur'an is unique in a clear semantic approach regarding the use of these utterances. Clarifying the external and internal characteristics of them, knowing the stylistic, argumentative, and rhetorical aspects of these words according to their various uses.

Accordingly, we will try in this research to invest rhetorical and argumentative knowledge in the approach of the Qur'anic text in terms of cunning in selected models from the stories of the prophets. Through this plan, we aim to unveil some aspects of this subject worthy of study and analysis.

Keywords: problem, cunning, rhetoric, style, argumentative approach, discourse.

المقدمة:

نروم في هذا المقال إثبات بعض الآثار البلاغيّة و الحجاجية المستفادة من آيات المكر في القصص القرآني المرتبطة ببعض العناصر اللغوية في سياقٍ بلاغيٍّ حجاجيٍّ مُعيّن. فقد خصصّنا هذا البحث في آيات المكر في القصص القرآني؛ وذلك لأنّ هذه القصص تقدّم أحداثًا تصّورُ فيها دعوة الأنبياء عليهم السلام أقوامهم إلى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد، فقد برزت معارضات لدعوتهم من قبل الكافرين والمشركين حاولوا المكر بالدعوة وصاحبها مرات، وإيقاع النوازل بهم، وحياكة المكايد والدسائس والخداع لهم. وتبرز أهمّيَّة هذا البحث الموسوم ب" بلاغة أسلوب المشاكلة في آيات المكر: نماذج من قصص الأنبياء " للكشف عن الأسرار البلاغية للمشاكلة والقيمة الحجاجية لها، وأثرها في التماسك النصي. فالمشاكلة (مطلوب، د.ت) مبحثٌ بلاغيٌّ دقيقٌ من مباحث البلاغة (مطلوب، د.ت) كان له دورٌ بارزٌ في بناء النص القرآني تركيبًا ودلالةً من حيث حسن نظمه ولطيف بيانه، وروعة أسلوبه.

ويكمن جمال المشاكلة في المباغتة التي تأتي بها آيات المكر في القرآن الكريم حتى لقد يتوهّم المتلقي/ القارىء خلاف ما يتوقّع من تشابه في المعنى، بيد أنّ التشابه يقع في اللفظ وحده دون المعنى. وهنا يكمن السرّ، وينكشف اللغز فإذا المفهوم الأوّل للمكر يختلف عنه المفهوم الثاني.

وإنّ آيات المكر في النماذج المختارة من قصص الأنبياء تكون مشتملةً على لفظة (مكر) بعينه موجهًا إلى النّاس بغية إقناعهم بفكرةٍ أو ردعهم عن أخرى. فمن خلال إظهار خصائصها الأسلوبية، ومقاصدها الدلالية تبرز مقاربة المشاكلة البلاغية لهذه المدونة كحلٍّ ناجعٍ بفضّ إشكالات عقدية وفق رؤى منهجيّة خاصّة تنطلق من آراء النحويين والبلاغيين والمفسرين في وظائف هذه المشاكلة البلاغية لتصل إلى المقاربة الحجاجية.

وتبرز جماليات المشاكلة كلونٍ بلاغيٍّ في حسن العبارة وسموٍ في البلاغة، فالمتلقي يتوهّم أنّ المعنى الثاني هو عين الأوّل، بيد أنّه بعد إمعانٍ في النظر، وتحقيقٍ في الفكر يرى أنّ المعنى الثاني غير الأوّل، فيكون سببًا لتثبيت المعنى وترسيخه في الذهن. وبذلك يتحقق الغرض من المشاكلة.

ولقد اِعتمدنا على منهج التّحليل الحجاجي الذي يمتلك خلفيات نظرية عميقة، وآليّات مقاربة فعّالة تسعفنا– نحن المشتغلين بالنصّ القرآني– في فهم الخطاب القرآني، وظهرت كفاءته أيضًا في كشف مقصديات الخطاب، وطرائق اشتغال المقوِّمات الاقناعية فيها. فالتحليل الحجاجي المعتمد– في هذا البحث– على المنجز النظري الغربي والمستفيد من تطبيقات بعض الدارسين العرب (عادل، 2017)، فهذه القناعة التي تملكتنا دفعتنا بقوة إلى اعتماد منهج التحليل الحجاجي فنهلنا من مدارسه واتجاهاته، واعتمدنا أدواته الإجرائية في تحليل القصص القرآني.

وحاولنا من خلال تتبع ظاهرة المشاكلة البلاغية في بنيتها اللغوية القائمة على الثنائيات اللفظية المتكررة تماثلًا، والمتخالفة معنًى، وما يتولّد من ذلك من وظائف ومعاني كبيرة ومهمة (الجرجاني، 1992)، فهي تشكل ظاهرةً أسلوبيةً واضحةً في القرآن الكريم، نحاول كشف هذا المظهر من مظاهر اللّغة العربية، ورصد هذه الظاهرة التي تعدُّ مصدر إهتمامٍ كبيرٍ لدى البلاغيين والمفسرين فتتبّعنا كتب البلاغة قديمها (السكاكي، 1992)، وحديثها (مطلوب، د.ت)، وكتب التفاسير القرآنية. (عاشور، 1988)

فالمشاكلة موضوعٌ عقديٌ بلاغيٌ بامتياز؛ لأنّ القرآن الكريم يصف الله عزّ وجلّ بأسماءٍ وصفاتٍ عن طريق هذا الأسلوب البلاغي" المشاكلة" فالعقيدة الإسلامية تقوم على أساس الاعتراف بقدرة الله المطلقة في كلّ شيء، وتنزيهه المطلق، فالقرآن يستخدمُ أسماءً وصفاتٍ لا تناسب الذات الإلهية إلا مشاكلةً، فلا يطلقها عليه إلا في هذا السياق.

ويقتضي البحث في هذا الموضوع الوقوف عند مفهوم المكر وأنواعه، ومفهوم المشاكلة وأنواعها تمهيدًا لتفصيل القول فيها استنادًا إلى جملةٍ من العيّنات التطبيقيّة مثلما سيتمّ بيانه لاحقًا.

1– مفهوم المكر لغةً واصطلاحًا:

1–1.المكر لغةً:

قال بن فارس(329هـ) في مقاييسه :" الميم والكاف والراء كلمتان أحدهما المكر لتدل على معنيين متباينيين الأوّل: الاحتيال والخداع، والثاني: خدالة الساق(أي الغليظة الحسناء).(زكريا، 1986)

أمّا المكر: فهو ضربٌ من النبات الواحد مِكرة، وسميت لارتوائها، وإمّا مُكُور الأغصان فهي شجرة على حده وضروب من الشجر تسمى المُكوّر" (العين، 2001)، والمكرُ سقيُ الأرض، يقال: امكروا الأرض فإنّها صلبةٌ ثم احرثوها". (الأزهري، 2001).

وفرّق أبو هلال العسكري(395هـ) بين الكَيدِ والمكْرِ من حيث إنّ المكر مثل الكيد في أنّه لا يكون إلا مع تدبّر وفكر، إلا أنّ الكيد أقوى من المكر، والشاهد أنّه يتعدّى بنفسه والمكر يتعدى بحرف، فيقال: كاده يكيده ومكر به، ولا يقال: مكره، والذي يتعدّى بنفسه أقوى، والمكر أيضًا تقدير ضرر الغير من أن يفعل به، ألا ترى أنّه لو قال له: أقدر أن أفعل بك كذا، لم يكن ذلك مكرًا، وإنّما يكون مكرًا إذا لم يكن يعلمه به، والكيد اسم لإيقاع المكروه بالغير قهرًا سواء علم أو لا" (العسكري، 2005).

وقال الرّاغب الأصفهاني(502هـ) في معجمه: المَكْرُ: "صَرْفُ الغَيْرِ عمَّا يَقْصِدُهُ بِحِيلَةٍ، وذلك ضَرْبَانِ: مَكْرٌ مَحمودٌ: وذلك أن يتحرَّى بذلك فِعْلَ جَمِيلٍ، وعلى ذلك قال: ﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[آل عمران: 54]. ومكرٌ مذمومٌ: وهو أن يَتحرَّى به فِعْلَ قبيحٍ، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾(الأصفهاني، 1997).

وقد ورد تعريف ابن منظور(711هـ) لهذا المصطلح تعريفًا جامعًا مانعًا حيث قال في شأنه: " المكر: هو احتيال في خُفْية، (...) قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[النمل: 50] (...) والمكر الخَدِيعَة والاحتيال، مَكَرَ يَمْكُرُ مَكْرًا ومَكَرَ به (منظور، 1994).

2-1 المكر اصطلاحًا.

ومفهوم المكر اصطلاحًا هو : "ما يقصد فاعله في بطنه خلاف ما يقتضيه الظاهر" (السيوطي، 2004)،(للجرجاني، 2007)، وهو يقصد به "صرف الغير عمّا يقصد بحيلة. وهو ضربان: محمود وهو أن يتحرّى به فعل جميل، ومذموم وهو أن يتحرّى به فعل قبيح" (المظهري، 2004) (التهانوي، د.ت).

والمكر لا يكون إلا سيّئًا؛ ولكنّه إن كان من جانب الله عزّ وجلّ كان جميلًا، على نحو قوله" والله خير الماكرين" ، وإن كان من جانب البشر لا يكون إلا سيئًا، على نحو قوله تعالى:" ولا يحيق المكر السّيّء إلا بأهله".

ويذكر الراغب الأصفهاني في معجمه أنّ" مِنْ مَكْرِ اللهِ إِمْهَالُ العبدِ وتمكّنُهُ من أغْراضِ الدُّنيا، ولذلك قال أميرُ المؤمنين– رضي الله عنه– عليّ بن أبي طالب:" مَنْ وُسِّعَ عَليه دُنْيَاهُ ولم يَعْلَمْ أنّهُ مُكِرَ بهِ فهو مَخْذُوعٌ في عَقْلِهِ" (الأصفهاني، 1997) (الكفوي، الكليات، 1993).

وعليه، وجدنا بعد التمحّيص والبحث في معاجم اللّغة أنّ المكر والاحتيال والخداع وردت في اللّغة والاصطلح بمعانٍ متقاربة، فقد ذكَر أهْلُ اللّغة أنَّ المكر السيّئ والسّلبِي هو الأكثر ورودًا والأكثر استعمالًا في اللّغة، أمّا استعماله من الناحية الإيجابية فغيرُ شائعٍ في الاستخدام اللُّغوي، ويمكننا أن نستنتج أنّ هناك فرقًا بين المكر والخداع والكيد في استعمالات القرآن الكريم، وأنّ أكثرَ استعمالات القرآن للمكر كان على نحو الذّم، وليس على نحو المدح. فمكر الله هو جزاءٌ لما يقوم به الماكرون؛ وذلك لأنّ مكر الأعداء هو الاحتيال، ومكر الله هو ردّ المكر بخذلانهم واستدراجهم ثم الايقاع بهم في التهلكة وهم لا يشعرون.

2- المكر ودلالاته في القرآن:

قال الدامغانيُّ(478هـ) في "قاموس القرآن": أنّ المكر جاءت على خمسة أوجه: تكذيب الأنبياء، فعل الشّرك، القول، إرادة القتل، الحيلة.

" فوَجْه منها: المكر تكذيب الأنبياء، قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ﴾[الأنعام: 123]، يعني: يكذّبوا الأنبياء ﴿ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾[الأنعام: 123]؛ أيْ: عقوبة ذلك تعود عليهم.

الثاني: المَكْر فِعْلُ الشّرك، قوله تعالى في سورة فاطر ﴿ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾[فاطر: 10]؛ يَعني يُشركون بالله تعالى.

الثالث: المكر: القول، قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ ﴾[يوسف: 31]، نظيرها في سورة سبأ: ﴿ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ ﴾[سبأ: 33].

الرابع: المكر: إرادة القتل، قوله تعالى في سورة غافر ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ﴾[غافر: 45]؛ أيْ: ما أرادوا، كقوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[الأنفال: 30]؛ أيْ: يهمُّون بقتلك، وقوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ﴾؛ يعني يريدون قتْلَك، (ويعصمك الله)، مثلها في سورة النحل: ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا ﴾[النمل : 50]، يعني أرادوا قتْلَ صالِح، (ونَجَّيناه)، كقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾[آل عمران:54]؛ أيْ: أرادوا قتْلَ عيسى – عليه السَّلام – (ورفعه الله).

الخامس: المكر: الحيلة، قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ ﴾[الأعراف: 123]؛ يعني: حيلة احتَلْتُم أنتم وموسى – عليه السَّلام (الدامغاني، 1985).

ولقد ورد لفظ المكر مسندًا إلى الله عزّ وجلّ مقابلًا لمكر البشر نحو قوله تعالى:" ويمكرون ويمكر الله"[الأنفال : 30] " أي يجازيهم على مكرهم" (الحلبي، 1996)، فهو بمعنى المجازاة.

و من الاستعمالات القرآنية للفظة المكر كذلك قوله تعالى:" قل اللهُ أسرع مكرًا"[يونس: 21]" أي أقدر على تحصيل المكروه لهم" (الحلبي، 1996). فالمعنى إذن هو تحصيل المكروه بأعلى قدرة.

وورد لفظ المكر باستعمال مجازي نحو قوله تعالى:" بل مكرُ الليلِ والنهار"[سبأ: 33]' إذًا " أضاف الحدث لظرفه الواقع فيه أي مكرٌ في الليل، والإضافة تكون بمعنى في. والأحسن أن تكون على المبالغة، جعل الظرفين ماكرين مبالغة" (الحلبي، 1996).

ومن استعمالات المكر في القرآن الكريم قوله تعالى:"ولا يحيق المكر السَّيِّءُ إلا بأهله"[فاطر: 43]. فالمكر هنا" صرف الغير عمّا يقصده بحيلة من الحيل" "(الحلبي، 1996).

3-المشاكلة لغة واصطلاحًا:

3-1:المشاكلة لغةً:

الشَّكْلُ بالفتح: الشَّبَهُ والمِثْلُ، والجمع أشْكالٌ وشُكولٌ (الفيروزآباي، 1991)، والشاكلة الناحية والطريقة والمشاكلة: المضاهاة والمماثلة. والمشاكلة من الأمور: ما وافق فاعله ونظيره ويقال شكلت الطير وشكلت الدابة. وقوله تعالى:" كلٌّ يعملُ على شاكلته" أي على سجيته التي قيدته، وذلك أن سلطان السجية على الإنسان قاهر، والمشاكلة: الموافقة والتشاكل مثله (منظو، 1994).

3-2:المشاكلة اصطلاحًا:

هي " ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقًا أو تقديرًا "(القزويني، د.ت). وقد عرّفها أحد المحدثين بقوله:" ذكر المعنى بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقًا أو قديرًا" (عكاوي، 1996)، فالمشاكلة إذن تدلّ على ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته وهذا لا يتصوَّرُ إلا إذا تكرّر ذكر لفظٍ وأريد به في المرة الأولى أصل معناه وفي الأخرى غير ذلك، فنحن نرى التقارب الجلّي بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي فكلّ منهما دلّ على المصاحبة والتوافق.

والمشاكلة عند البلاغين على نوعين: لفظية وعقلية:

الأوّل: لفظية: تظهر في اللفظ أو المفردات، وهي المشاكلة التي تقع تحقيقًا. كقوله تعالى: " ومكروا ومكر الله" فإنّ إطلاق المكر على الله سبحانه وتعالى لمشاكلة ما معه على سبيل مقابلة اللفظ في اللفظ .

الثاني: عقلية: وهي التي" تفهم بالعقل ويقدر فيه المعنى تقديرًا" كقوله تعالى:" وجزاء سيئة سيئة مثلها" (بطاهر، د.ت)، فإنّ إطلاق الجزاء حق لا يوصف بأنّه سيئة من اعتدى، فقد سمى الباري عزّ وجلّ جزاء السيئة سيئة مجازًا على سبيل مقابلة اللفظ في اللفظ. فالعسكري (395 هـ) في الصناعتين: الكتابة والشعر في الفصل الرابع فى المقابلة يقول في: قوله تعالى: وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنا مَكْراً ؛ فالمكر من الله تعالى العذاب، جعله الله عزّ وجلّ مقابلة لمكرهم بأنبيائه وأهل طاعته.

4-المكر ودلالاته في نماذج من قصص الأنبياء

حظي أسلوب القصّ في القرآن الكريم باهتمامٍ بالغ، وبمساحة نصيةٍ تزيد على ربع القرآن الكريم، وهو أمرٌ يؤكّد أهميّة هذا الأسلوب وفاعليته في خدمة الدّعوة الدينية.

لقد اعتمد القرآن في سبيل هذه الدّعوة على وسائل قوليّة كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر، قوة الاستعارة، والرصف الإيقاعي المؤثر، والإحكام النظمي العجيب، والتركيب المقصدي... فالقصّ القرآني هو العنصر الأهم في بناء الخطاب القرآني ذلك بوصفه خطابَ دعوة دينية، غايتها المحضة أو قل الكبرى بيان الصراط المستقيم الذي يقود المرء إلى التوحيد والإيمان بالخالق.

ولئن كان القصص القرآني قد قورب من قبل إمّا باعتماد على نظرة إعجازية ترى في هذه القصص إلمامًا غيبيًّا بأخبار الماضيين أومعرضًا لمعجزات الأنبياء والرسل فاليوم، لا مناص من إستثمار الآليات التحليلية الحديثة تداولية كانت أم حجاجية أم سردية فهي بلا أدنى شك تسلطّ الضوء على القصة القرآنية المحملة بأسرار النّص المعجز فتقود الفهم إلى أن يكون أكثر تكاملًا، وأوسع إدراكًا لمرامي بنيتها ودلالاتها، وأعظم تآلفًا بين الغرضين الفني والديني.

وهذه المقاربة البلاغيّة الحجاجيّة لهذه الأنموذجات من قصص الأنبياء في آيات المكر ليست تخييلًا حكائيًا هدفه الإمتاع السردي للأحداث التاريخيّة، وإنّما غايتها الكبرى الإقناع بالدّعوة، والدّفاع عنها ذلك كونها وقائع حقيقيّة وأحداث تاريخيّة، فقد أخبر القرآن الكريم أنّها وقعت بالفعل (شحرور، 2012)، وهي بهذه الواقعية تأثرُ تأثيرًا كبيرًا في النفوس، فتصبح القصص القرآني حاسمة في توجيهها الدّعوة، وقد ربطها الله بذاته المقدسة(الحق) فقال تعالى:" وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ".[هود:120]

فهذه القصص تقدّم أحداثًا تصّورُ فيها دعوة الأنبياء عليهم السلام أقوامهم إلى عبادة الله الواحد ولذا فقد برزت معارضات لدعوتهم من قبل الكافرين والمشركين والملحدين حاولوا المكر بالدعوة وصاحبها مرات ومرات، وايقاع النوازل بهم، وحياكة المكايد والدسائس والخداع لهم، سنحاول في هذا المبحث الكشف عن تلكم الأسرار البلاغية للمشاكلة والقيمة الفنية لها، وأثرها في التماسك النصي متتبعين بعض القصص القرآني التي ورد موضوع المكر فيها مشاكلة حقيقيةً فقط دون سواها، وسنورد القصص بحسب تسلسلها في القرآن الكريم وهي على النحو الآتي: قصّة صالح عليه السلام، وقصة عيسى عليه السلام، وقصة محمّد(ص) مع مشركي قريش.

أولًا- قصة صالح عليه السلام.

قال تعالى: "وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ، فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْناهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ"[النمل: 50_51].

إنّ الزمن المرجعي الذي يؤطّر هذه القصة مختبئ في أحداثها التي ارتبطت بناقة صالح ووليدها، وصالح أحد أنبياء الله الذي أرسل للدعوة إلى توحيده وعبادته في قوم ثمود، وهي أحد القبائل العربية التي تنحدر من أصل أولاد سام بن نوح. وكانت تسكن ما بين الحجاز وتبوك، وكانوا من عبدة الأصنام، فدعاهم صالح عليه السلام إلى عبادة الله وترك عبادة الأوثان، فرفضوا واتّهموه بالجنون والسّحر، وطلبوا من صالح معجزة تصدق دعوته أن يخرج من الصخرة ناقة بمواصفات خاصة، فطلب من الله فخرجت من الصّخرة ناقةٌ، وفق شروطهم وأمام أعينهم، فتعجب القوم، وآمن البعض بصالح وهم قلة، والأكثرية استمرت في كفرها، وطلب إليهم صالح أن يتركوا الناقة تشرب من البئر يومًا، وفي اليوم التالي هم يشربون، وطلب أيضًا منهم أن تبقى الناقة بينهم يشربون من لبنها، واستمروا على هذه الحال مدةً من الزمن، وهذا الحدث له دوره الإقناعي إذ يجعلهم يؤمنون بالخالق القوي الذي أوجد لهم من الصخرة ناقةً بشروطهم التعجيزيّة ويصدقون بدعوة صالح عليه السلام، بيد أنّهم تمادوا في طغيانهم فجتمع تسعةُ نفرٍ منهم، وتحاوروا في قتل الناقة ووليدها، ووصل الخبر لصالح فحذّرهم من عذاب شديد من الله بعد ثلاثة أيّامٍ من معرفة الخبر، فأصبحوا يستهزئون بكلام صالح، وبيتوا النية في قتل صالح، وبعد ثلاثة أيّام جاء الوعد الحقّ. ففي أوّل يومٍ كانت وجوهم مصفرّة، وفي اليوم الثاني كانت وجوهم محمرّة، وفي يوم السبت الثالث كانت وجوهم مسودّة، فلماء جاء يوم الأحد جاءتهم الصّيحةُ من السماء والرّجفةُ من الأرض من تحتهم، فهلكوا عقابًا على عنادهم وكفرهم، ونتيجةً للمكر الذي مكروه؛ لذلك ركز المفسرون على أنّ ما جرى لقوم صالح كان نتيجةً لمكرهم الذي بيتوه لقتل الناقة وفصيلها وقتل صالح عليه السلام يقول البيضاوي في كتابه:" أنوار التنزيل وأسرار التأويل" "وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ، فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْناهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ، وَمَكَرُوا مَكْراً بهذه المواضعة (...) المواضعة. وَمَكَرْنا مَكْراً بأن جعلناها سبباً لإهلاكهم. وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ بذلك، روي أنّه كان لصالح في الحجر مسجدٌ في شعبٍ يصلي فيه فقالوا: زعم أنّه يفرغ منا إلى ثلاث فنفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث، فذهبوا إلى الشعب ليقتلوه، فوقع عليهم صخرةٌ حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمّة وهلك الباقون بالصيحة" (البيضاوي، 2000)

ويبدو الوصف الموظّف في هذه القصة يستهدف رفع درجات التأثير، لأنّه ينطوي على تصور وجوه قوم صالح بعد قتل الناقة وولدها بأشكال مخيفة، وألوان مختلفة، وبمواصفات تخرق اللبّ وتخيف الناظر إليها، وقد فصلّ المفسّرون في ألوان الوجوه ففي اليوم الأوّل مصفرّة، واليوم الثاني محمرّة، واليوم الثالث مسودّة وهو يوم السبت، فلما جاءت صبيحة يوم الأحد جلسوا ينتظرون العذاب المقرّر لهم، فعندما خرجت الشمس جاءت صيحةٌ من السماء ورجفةٌ في الأرض من تحتهم، فهلكوا وكان ذلك عقاب عنادهم وكفرهم.

إنّ الوصف في هذه الآيات الكريمات، كما يحيل على الإفزاع وحتّمية العقاب نتيجة كفرهم ومكرهم السّيء الذي حاق بهم فقد بيتوا أن يقتلوا صالحًا بعد قتلهم الناقة ووليدها قبل الثلاثة أيّام التي وعدهم إيّاها نبي الله صالح، فكان مكر الله بهم أن جعلهم سببا لهلاكهم وهم لا يشعرون. إذن الوصف بهذا الشكل يحيط الحادثة بالتّهويل، فألوان الوجوه تتغّير في ثلاثة أيّام، وبعدها مباشرة تأتي الصيحة من السّماء، والرّجفة من الأرض فالوصف يركّز على وقوعها بهذه الكيفية المثيرة والمخيفة والمفزعة وفي ذلك تقويةٌ لحمولتها الاقناعية. وذكر المفسّرون غدر قوم ثمود وتبيتهم النية على قتل نبي الله صالح عليه السلام بعدما قتلوا الناقة ووليدها، وكيف أن الله جازهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم فقال تعالى:

" وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنا مَكْراً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (50) فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْناهُمْ (...) وَمَكَرُوا مَكْراً، غَدَرُوا غَدْرًا حِينَ قَصَدُوا تَبْيِيتَ صَالِحٍ وَالْفَتْكَ بِهِ، وَمَكَرْنا مَكْراً، جَزَيْنَاهُمْ عَلَى مَكْرِهِمْ بِتَعْجِيلِ عُقُوبَتِهِمْ" (البغوي، د.ت).

4-2- قصة عيسى عليه السلام

قال تعالى: :"مَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ، إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ"[آل عمران: 54_55] .

ورد ذكر قصّة عيسى عليه السلام في سورة آل عمران، وقد ركّزت القصّة على قضيّة أساسّية ألا وهي قضّية التّوحيد ونفي فكرة الشّريك والولد وبيان زيف هذه الشبهة، وأكدت أنَّ المسيح عيسى بن مريم بشر، أوجده الله من غير أبٍ، كلمة الله ألقاها إلى مريم فكان عيسى عليه السلام، وكانت الخوارق التي حفّت بمولده وسيرته من عند الله شأنه شأن كلّ الأنبياء الذين أكدوا على " أنّ حقيقة الدين هو الإسلام والإسلام هو الإتباع والاستسلام، وإنّ كلّ شريعة أتى بها الأنبياء، إنّما هي إقرار لمنهج الله وبيان الحلال والحرام (...) في رسالة الأنبياء ويرفض الإتباع ويعكف على منهج الكفر ويظهر من ينصر الله ودين الله بإتباعه الأنبياء وهذا الأمر حصل مع عيسى عليه السلام (القرطبي،، د.ت).

فقصّة عيسى عليه السلام مع بني إسرائيل تبيّن مكرهم فقال تعالى :"مَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ، إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ" [آل عمران:54_55].

والشاهد قوله تعالى:" ومَكَرُوا ومَكَرَ اللَّهُ واللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ"، ففي هذه الآية المباركة يكمن جمال المشاكلة اللفظية في قصة عيسى عليه السلام في المباغته التي توهم المتلقي بخلاف ما يتوقعّ من تشابه في المعنى، فإذا به تشابه في اللفظ فقط، فالمكر فعل" يُقصد به ضر أحد في هيئة تخفى عليه أو تلبس فعل الإضرار بصورة النفع ، فمكر اليهود هو تدبيرهم لأخذ المسيح، وسعيهم لدى ولاة الأمور ليمكنوهم من قتله، ومكر الله بهم هو إبطال الله تعالى مساعيهم على الرغم من ظنهم بنجاحها، وهو هنا مشاكلة؛ أي مقابلة مكرهم بخذلانه إياهم، فهذه العقوبة هي التي سماها الله مكرًا في قوله (ومكر الله)؛ وهذه تسمية للعقوبة باسم الذنب وإن لم تكن في معناه.

"ومعنى" والله خير الماكرين" أي أقواهم عند إرادة مقابلة مكرهم بخذلانه إيّاهم، ويجوز أن يكون معنى "خير الماكرين": أنّ الإملاء والاستدراج الذي يقدّره للفجّار والجبابرة والمنافقون، الشبيه بالمكر في أنّه حَسَن الظاهر سَيّء العاقبة، هو خيرٌ محض لا يترتّب عليه إلّا الإصلاح العام، وإن كان يؤذي شخصًا أو أشخاصًا، فهو من هذه الجهة مجرّد عمّا في المكر من القُبح، ولذلك كانت أفعاله تعالى منزّهة عن الوصف بالقبح أو الشناعة، لأنّها لا تقارنها الأحوال التي بها تقبح بعض أفعال العباد؛ من دلالة على سفاهة رأي، أو سوء طوّية، أو جُبن، أو ضُعف، أو طَمع أو نحو ذلك. أي فإن كان في المكر قبح فمكر الله خير محض، ولك على هذا الوجه أن تجعل "خَيْر" بمعنى التفضيل وبدونه "(عاشور، 1988).

وقالَ عَبْدُ الحَقِّ بنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:546هـ):

" ثم أخبر تعالى عن بني إسرائيل الكافرين بعيسى فقال: ومكروا يريد تحيلهم في أخذ عيسى للقتل بزعمهم، ويروى أنّهم تحيلوا له، وأذكوا عليه العيون حتى دخل هو والحواريون بيتًا فأخذوهم فيه، فهذا مكر بني إسرائيل، وجازاهم الله تعالى بأن طرح شبه عيسى على أحد الحواريين ورفع عيسى، وأعقب بني إسرائيل مذلةً وهوانًا في الدنيا والآخرة، فهذه العقوبة هي التي سمّاها الله مكرا في قوله ومكر الله وهذا مهيع أن تسمّى العقوبة باسم الذنب وإن لم تكن في معناه، وعلى هذا فسّر جمهور المفسّرين الآية، وعلى أنّ عيسى قال للحواريين: من يصبر فيلقى عليه شبهي فيقتل وله الجنة؟ فقال أحدهم– أنا– فكان ذلك، وروى قوم أن بني إسرائيل دست يهوديا جاسوسًا على عيسى حتى صحبه ودلهم عليه ودخل معه البيت فلما أحيط بهم ألقى الله شبه عيسى على ذلك الرجل اليهودي فأخذ وصلب، فهذا معنى قوله: "ومكروا ومكر الله" وهذه أيضًا تسمية عقوبة باسم الذنب، والمكر في اللغة، السعي على الإنسان دون أن يظهر له ذلك، بل أن يبطن الماكر ضد ما يبدي، وقوله "والله خير الماكرين" معناه في أنّه فاعل في حق في ذلك، والماكر من البشر فاعل باطل في الأغلب، لأنّه في الأباطيل يحتاج إلى التحيل، والله سبحانه أشد بطشًا وأنفذ إرادة، فهو خير من جهات لا تحصى، لا إله إلا هو" (الأندلسي، 2001)

4-3-قصة محمّد(ص) مع مشركي قريش.

قوله تعالى:" وإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِيْنَ"[الأنفال : 30]

لقد تعرّض النبي الكريم محمّد(ص) إلى مكر الكافرين في آيات كثيرة في القرآن الكريم مثال ذلك [الأنعام: 122_123]و[النمل: 67_70]و[فاطر:10]، بيد أنّ الذي يهمّنا في هذا البحث ما كان المكر فيه مشاكلة حقيقة لا تقديرية فمنها قوله تعالى:" وإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِيْنَ"[الأنفال: 30]. فهذه كتب التفاسير تشير إلى اجتماع مشركي مكّة في دار الندوة ذلك الإطار المرجعي الذي يؤطّر قصّة النّبي محمّد(ص)، وما دار من أحداث هذه القصة باجتماع رأيهم على قتل النبي محمّد(ص)، وما بيّتوه، ورصدوه على باب منزله طوال ليلتهم ليقتلوه إذا خرج،" فأخبر جبريل– عليه السلام– رسول الله(ص) وأمره ألا يبيت في مضجعه، وأذن الله له في الهجرة، فأمر عليًّا – رضي الله عنه– فنام في مضجعه، وقال له:" اتَّشِحْ بِبُرْدَتِي؛ فإنّه لن يخلص إليك أمرٌ تكرهه"، وباتوا مترصّدين، فلما أصبحوا ثاروا إلى مضجعه، فأبصروا عليًّا فبهتوا وخيب الله –عزّ وجلّ– سعيهم، واقتصوا أثره، فأبطل الله مكرهم "(الزمخشري، 1998).

وهذه الأحداث لها دورها الإقناعي، إذ يجعل ما وقع على نبيّه الكريم من المكر السيء دليلا على عظيم العناية الربانية، فحماية النبي محمّد (ص) إجراء سردٍ وتدبير؛ لذلك ركز المفسّرون على أنّ ما جرى على مشركي مكة هو مجازاةٌ على مكرهم الخبيث، فقال ابن القيم الجوزي:" والمكر من الخلق خبثٌ وخداعٌ ومن الله عزّ وجلّ المجازاة فسمي باسم ذلك؛ لأنّه مجازاةٌ عليه" (الجوزي، 2013)

إنّ الوصف الموظّف في هذه القصة يستهدف رفع درجة التأثير؛ لأنّه ينطوي على تصوير ثلاثة أفعالٍ سردية عزم مشركو مكّة أن يمكروا بالنبي محمّد(ص) في دار الندوة، وتحدثت عنها الآية المباركة من سورة الأنفال وهي: التثبيت(الحبس)، والقتل، والإخراج من مكة، وقد فصل المفسّرون في هذه الأفعال الثلاثة فقال بعضهم:" (ليثبتوك) ليحبسوك، يقال: أثبته إذا حبسته، وقال قتادة (ليثبتوك) وثاقًا. وعنه أيضًا وعبدالله ابن كثير ليسجنوك، إبّان ابن تغلب وأبو حاكم ليثخنوك بالجراحات والضرب الشديد، والمكر التدبير في الأمر في خفية والمكر من الله هو جزاءهم بالعذاب على مكرهم من حيث لا يشعرون" (القرطبي، 2006).

والوصف في هذه الآية المباركة بالأفعال الثلاثة المضارعة التي هي خلاصة مكر مشركي قريش في الاجتماع الأخير في دار الندوة قُبيل الهجرة؛ لكن الله خير الماكرين" أي: مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرًا، أو لأنّه لا ينزل إلا ما هو حقّ وعدل، ولا يصيب إلا بما هو مستوجب" (الزمخشري، 1998)، فالوصف بهذه الأفعال الثلاثة المضارعة المستمرّة إذن ما هو إلا استحضار للحالة التي تردّدت فيها قريش في أمر النبي محمّد(ص) ودبّرت فيها المكر بإيقاع الضر خُفية؛ "لأنّ تلك الأفعال مستقبلة بالنّسبة لفعل المكر إذ غاية مكرهم تحصيل واحد من هذه الأفعال" (عاشور، 1988). والوصف بهذه الكيفيّة يحيل على الإفزاع وحتمية الإقصاء لشخص النبي(ص) إما بسجنه، أوتصفيته جسديًّا، أو طرده إلى خارج مكة، فالغاية تحصيل واحدة من هذه الأفعال، وتركز هذه الأفعال على وقوعها بهذه الكيفيّة المثيرة والهيئة الشّنيعة بالهجوم على دار النبي محمّد(ص)، بيد أنّ حكمة الله تقتضي حفظ نبيه(ص) "من الذين تولوا المكر سادة المشركين وكبراؤهم وأعوان أولئك الذين كان دأبهم الطعن في نبوة محمّد(ص) وفي نزول القرآن عليه" (عاشور، 1988)، ويقابل مكرهم مكر الله الواحد الأحد،" والمضارع في " يمكرون" و"يمكر" الله لاستحضار حالة المكر" (عاشور، 1988)، وفي

هذه المقارنة تقويةٌ لحمولتها الإقناعية، فقد تميّز مسارها الحكائي للأفعال الثلاثة بالتّكثيف والتّركيز والبعد عن التفاصيل السّردية التي لم تكن مقصودة لذاتها، بل كان غايتها استحضار حالة المكر التي كانت عليها قريش، منذرة بمآل الفشل الذي انتهى إليه مشركي قريش، وبهذا التكثيف الحكائي الذي اعتمد على الحسم السريع بعيدًا عن التفاصيل "أصبح الحدث متدافعًا دافقًا مؤكدًا" (حطيني، د.ت) "وتلك طريقة سرديّة لتركيز المفعول الإقناعي" (عادل، الحجاج في الخطاب، مقاربات تطبيقيّة، د.ت)، فالله هو الفاعل الأوّل والأخير، تصدر عنه الأحداث لتعود إليه، فهو الممسك بالتفاصيل، والحاكم للمآلات، وفي ذلك كلّه عبرة قويّة، وتنبيه دائم مستمرّ من لدنّه للعباد، وهي الخاصية الإقناعيّة العظمى لهذا النّوع من السرد والتنظيم الحكائي في القصص القرآني.

تلكم كانت نماذج استقيناها من قصص القرآن الكريم كان المكر فيها مسندًا إلى ربّ الجلالة أو مضافًا إليه على سبيل المشاكلة الحقيقية لمكر الكافرين؛ لأنّ المكر لا يليق بالله العلي العظيم، فالأصل فيه التدبير.

خاتمة البحث

لقد رمنا في هذا المقال إثبات بعض الآثار البلاغية والحجاجية المستفادة من آيات المكر في القصص القرآني والمرتبطة ببعض العناصر اللغوية في سياق بلاغيّ حجاجي معين، فقد خصصنا هذا البحث في آيات المكر في نماذج من القصص القرآني. و قد توصلنا إلى مجموعةٍ من النتائج نجملها في الآتي:

1- وجدنا بعد التّمحّيص والبحث في معاجم اللّغة أنّ المكر والاحتيال والخداع وردت في اللّغة والاصطلاح بمعانٍ متقاربة، فقد ذكر أهْلُ اللّغة أنَّ المكر السيِّئ والسلبِي هو الأكثر ورودًا والأكثرُ استعمالًا في اللّغة، أمَّا من الناحية الإيجابيّة فغيرُ شائعٍ في الاستخدام اللُّغوي، ويمكننا أن نستنتج أنّ هناك فرقًا بين المكر والخداع والكيد في استعمالات القرآن الكريم، وأنّ أكثرَ استعمالات القرآن للمكر كان على نحو الذّم، وليس على نحو المدح. ومكر الله إنّما هو جزاءٌ لما يقوم به الماكرون؛ وذلك لأنّ مكر الأعداء هو الاحتيال، ومكر الله هو ردّ المكر بخذلانهم واستدراجهم ثم الإيقاع بهم في التّهلكة وهم لا يشعرون.

2- إنّ المشاكلة اللفظيّة هي الأكثرُ وردًا في كلام العرب عمومًا وكلام الله تعالى خصوصًا، بينما حظّ المشاكلة التّقديريّة (العقلية) قليلٌ، وفي هذا البحث اقتصرنا على المشاكلة اللفظية لكشف اللّغز، وتبديد التوهّم الذي قد يقع؛ لأنّ هذا الأسلوب يتوخّى الإبانة والوضوح بينما المشاكلة التقديريّة تحتاج إلى زيادة تأمّل وتفكّر للوصول إلى المراد بالمحذوف الذي يمكن تقديره وتفسيره بواسطة المذكور. فالقيمة البلاغيّة للمشاكلة اللّفظية تكمن في الصورة الاستعارية للفظ الثاني في آيات المكر التي تقع فيها المشاكلة، وهي مستعارة لغايات بلاغية من أهمّها تثبيت المعاني وترسيخها في الأذهان.

3- إنّ الأنموذجات التي سقناها في هذا البحث من قصص الأنبياء قد كشفت عن الأسرار البلاغية للمشاكلة والقيمة الحجاجية لها، وأثرها في التماسك النّصي. وتبيّن منها أنّ المشاكلة مبحثٌ بلاغيٌّ دقيق من مباحث البلاغة كان له دورٌ بارزٌ في بناء النّص القرآني تركيبًا ودلالةً.

4- لقد اعتمد القرآن في سبيل الدّعوة إلى الله سبحانه وتعالى على وسائل قولية كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر، قوة الاستعارة، والرصف الإيقاعي المؤثّر، والإحكام النظمي العجيب، والتركيب المقصدي...، بيد أنّ القصّ القرآني هو العنصر الأهمّ في بناء الخطاب بوصفه خطابَ دعوة دينية، غايتها المحضة أو قل الكبرى بيان الصّراط المستقيم الذي يقود المرء إلى التوحيد والإيمان بالخالق العظيم. وقد استثمرنا الآليات التحليلية الحديثة تداولية كانت أو حجاجية أو سردية؛ وسلّطنا فيها الضوء على القصة القرآنية المحمّلة بأسرار النّص ممّا ساعد على كشف ما يتصّف به الخطاب القرآني من حيث كونه أكثر تماسكًا، وأوسع إدراكًا للمرامي والدلالات المرادة، وأعظم تأليفًا بين الغرضين الفني والديني.

ووجدنا أنّ المقاربة البلاغية الحجاجية لهذه الأنموذجات من قصص الأنبياء في آيات المكر التي سقناها ليست تخييلًا حكائيًا هدفه الإمتاع السردي للأحداث التاريخية؛ وإنّما غايتها الكبرى الإقناع بالدّعوة، والدّفاع عنها ذلك كونها وقائع حقيقية وأحداث تاريخية، أخبر القرآن الكريم أنّها وقعت بالفعل.

5- إنّ الوصف في آيات المكر في قصة صالح يحيل إلى الإفزاع وحتمية العقاب نتيجة كفرهم ومكرهم السيء الذي حاكوه وبيتوه بأن يقتلوا صالحًا بعد قتلهم الناقة ووليدها قبل الأيام الثّلاثة التي وعدهم إيّاها نبي الله صالح، فكان مكر الله بهم أن جعلهم سببًا لهلاكهم

وهم لا يشعرون. فالوصف بهذا الشكل إذن يحيط الحادثة بالتهويل، فألوان الوجوه تتغيّر في ثلاثة أيام، وبعدها مباشرةً تأتي الصيحة من السماء، والرجفة من الأرض فالوصف يركز على وقوعها بهذه الكيفية المثيرة والمخيفة والمفزعة وفي ذلك تقويةٌ لحمولتها الإقناعية.

6- يكمن جمال المشاكلة اللفظية في قصة عيسى عليه السلام في المباغته التي توهّم المتلقي بخلاف ما يتوقّع من تشابه في المعنى، فإذا به تشابه في اللفظ فقط، فالمكر فعل يُقصد به ضرّ أحد في هيئة تخفى عليه، فمكر اليهود هو تدبيرهم لأخذ المسيح، وسعيهم لدى ولاة الأمور ليمكنوهم من قتله، ومكر الله بهم هو إبطال الله تعالى مساعيهم على الرغم من ظنهم بنجاحها، وهو هنا مشاكلة؛ أي مقابلة مكرهم بخذلانه إياهم، فهذه العقوبة هي التي سماها الله مكرًا في قوله (ومكر الله)؛ وهذه تسمية للعقوبة باسم الذنب وإن لم تكن في معناه.

7- إنّ الوصف في الآية المباركة لقصّة محمّد (ص) بالأفعال الثلاثة المضارعة التي هي خلاصة مكر مشركي قريش في الاجتماع الأخير في دار الندوة قُبيل الهجرة ما هو إلا استحضار للحالة التي ترددت فيها قريش في أمر النبي محمّد(ص) ودبرت فيها المكر بإيقاع الضرّ خُفية؛ لأنّ تلك الأفعال مستقبلة بالنسبة لفعل المكر إذ غاية مكرهم تحصيل واحد من هذه الأفعال. ويقابل مكرهم مكر الله الواحد الأحد الأكثر نفاذًا والأبلغ تأثيرًا والمضارع في "يمكرون" و"يمكر" الله لاستحضار حالة المكر، وفي هذه المقارنة تقوية لحمولتها الإقناعية، فقد تميّز مسارها الحكائي للأفعال الثلاثة بالتّكثيف والتّركيز والبعد عن التفاصيل السّردية التي لم تكن مقصودةً لذاتها، بل كان غايتها استحضار حالة المكر التي كانت عليها قريش، منذرة بمآل الفشل الذي انتهى إليه مشركو قريش، وبهذا التكثيف الحكائي للأفعال المضارعة الذي اعتمد على الحسم السريع بعيدًا عن التفاصيل التي أصبح فيها الحدث مؤكدًا، وبطريقة سردية ركزت على المفعول الإقناعي الذي غايته تحصيل واحدٍ من تلكم الأفعال المضارعة الثلاثة.

ولعلّ هذا البحث يكون الخطوة الأولى في طريق الباحثين للبحث والدراسة بصورة أوسع في تطبيق ظاهرة المشاكلة بنوعيها في القرآن الكريم، ودواوين الشعراء، أو كتب الأدب والأمثال والنوادر... سعيًا وراء النّكت البلاغية التي انطوت عليها المشاكلة لفظًا أو تقديرًا.

المصادر والمراجع:

ابن عاشور. (1988). *التحرير والتنوير*. القاهرة: دار المعارف.

ابن منظو. (1994). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا،، تحقيق عبد السلام هارون. (1986). *مقاييس اللغة*. بيروت: دار الفكر.

الأزهري، محمّد بن أحمد. (2001). *تهذيب اللغة*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الأصفهاني ، الراغب. (1997). معجم *مفردات ألفاظ القرآن*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الأندلسي ، ابن عطية. (2001). *المحرر الوجيز*. بيروت: دار الكتب العلمية.

بطاهر، بن عيسى. (د.ت). *البلاغة العربية، مقدمات وتطبيقات*. ليبيا: دار الكتاب الجديد.

البغوي، أبو محمّد الحسين بن مسعود بن محمّد. (د.ت). *معالم التنزيل في تفسير القرآن*. بيروت: دار إحياء التراث.

البيضاوي ، أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد. (2000). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. دمشق: دار الرشيد.

التهانوي. (د.ت). *كشاف اصطلاحات الفنون*. القاهرة: مكتبة الخانجي.

الجرجاني ، عبد القاهر. (1992). *دلائل الإعجاز في علم المعاني*. القاهرة: مطبعة المدني.

الجوزي ، ابن القيم. (2013). *زاد المسير في علم التفسير*. المكتب الإسلامي، دار ابن حزم.

حطيني ، يوسف. (د.ت). *ملامح السرد القرآني، دراسة في أنماط القصد والتلقي والشخصيات والبيئة القصصية*. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

الحلبي، السمين. (1996). *عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الدامغاني ، الحسين بن محمّد. (1985). *قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر*. بيروت: دار العلم للملايين.

الزمخشري ، محمود بن عمر. (1998). *الكشاف*. الرياض: مكتبة العبيكان.

السكاكي. (1992). *مفتاح العلوم*. القاهرة: مطبعة المدني.

السيوطي. (2004). معجم *مقاليد العلوم في الحدود والرسوم*. القاهرة: مكتبة الآداب.

شحرور ، محمّد. (2012). *القصص القرآني*. بيروت: دار الساقي.

عادل ،عبد اللطيف. (2017). *الحجاج في الخطاب، مقاربات تطبيقيّة*. مراكش _ المغرب: مؤسسة آفاق للدراسات والنشر.

العسكري، أبو هلال. (2005). *الفروق اللغوية*. بيروت: دار الكتب العلمية.

عكاوي، إنعام فوّال. (1996). *المعجم المفصل في علوم البلاغة*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، العين. (2001). *العين*. بيروت: مكتبة العلال العربي.

الفيروزآباي. (1991). *القاموس المحيط*. بيروت: دار إحياء التراث.

القرطبي ،محمّد بن أحمد الأنصاري. (2006). *الجامع لأحكام القرآن*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

القرطبي،. (د.ت). *الجامع لأحكام القرطبي*.

القزويني.، الخطيب (د.ت). *الإيضاح في علوم البلاغة*. بيروت: دار الفكر العربي.

الكفوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني. (1993). *الكليات*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

للجرجاني. (2007). *التعريفات*. بيروت: دار الكتب العلمية.

مطلوب ، أحمد. (د.ت). معجم *المصطلحات البلاغيّة وتطورها*. بيروت: مكتبة بيروت ناشرون.

المظهري ، محمّد ثناء الله. (2004). *التفسير المظهري*. بيروت: دار إحياء التراث.

Sources and references:

-Abu Hilal Al-Askari. (2005). Linguistic differences. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Ibn al-Qayyim al-Jawzi. (2013). Increased progress in the science of interpretation. Islamic Office, Dar Ibn Hazm.

Ibn Ashour. (1988). Liberation and enlightenment. Cairo: Dar Al-Maaref.

Ibn Attiya Al-Andalusi. (2001). The brief editor. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Ibn Manzo. (1994). Arabes Tong. Beirut: Dar Sader.

Abu Al-Baqa Ayoub bin Musa Al-Husseini Al-Kafawi. (1993). Colleges. Beirut: Al-Resala Foundation.

Abu Al-Baqa Ayoub bin Musa Al-Husseini Al-Kafawi. (d.t.). Colleges.

Abu Al-Hussein Ahmed bin Faris bin Zakaria. (1986). Language standards. Beirut: Dar Al-Fikr.

Abu Al-Hussein Ahmed bin Faris bin Zakaria, edited by Abdul Salam Haroun. (1986). Language standards. Beirut: Dar Al-Fikr.

Abu Saeed Abdullah bin Omar bin Muhammad Al-Baydawi. (2000). Lights of revelation and secrets of interpretation. Damascus: Dar Al-Rasheed.

Abu Muhammad Al-Hussein bin Masoud bin Muhammad Al-Baghawi. (d.t.). Features of revelation in the interpretation of the Qur'an. Beirut: Heritage Revival House.

Ahmed is wanted. (d.t.). A dictionary of rhetorical terms and their development. Beirut: Beirut Library Publishers.

Thanoi. (d.t.). Arts terminology explorer. Cairo: Al-Khanji Library.

Al-Hussein bin Muhammad Al-Damghani. (1985). Dictionary of the Qur'an or reform of faces and counterparts. Beirut: Dar Al-Ilm Lilmalayin.

Al-Khatib Al-Qazwini. (d.t.). Clarification in the sciences of rhetoric. Beirut: Dar Al-Fikr Al-Arabi.

Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi, Al-Ain. (2001). Eye. Beirut: Al-Alal Al-Arabi Library.

Al-Ragheb Al-Isfahani. (1997). A dictionary of the words of the Qur'an. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Sakaki. (1992). The key to science. Cairo: Al Madani Press.

The fat Aleppo. (1996). The principle of preservation in the interpretation of Ashraf Al-Alaza. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Al-Suyuti. (2004). Dictionary of the reins of science in terms of borders and drawings. Cairo: Library of Arts.
Al-Fayrouz Abai. (1991). Ocean dictionary. Beirut: Heritage Revival House.
Al-Qurtubi,. (d.t.). Al-Jami' al-Ahkam al-Qurtubi.
Inam Fawal Akkawi. (1996). The detailed dictionary of rhetorical sciences. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
Bin Issa Batahir. (d.t.). Arabic rhetoric, introductions and applications. Libya: New Book House.
Abdul Qahir Al-Jarjani. (1992). Evidence of miracles in the science of meanings. Cairo: Al Madani Press.
Abdul Latif Adel. (2017). Pilgrimages in discourse, applied approaches. Marrakesh - Morocco: Afaq Foundation for Studies and Publishing.
Abdul Latif Adel. (d.t.). Pilgrimages in discourse, applied approaches. Marrakesh, Morocco.
For Al-Jarjani. (2007). Definitions. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
Muhammad bin Ahmed Al-Azhari. (2001). Language refinement. Beirut: Dar Revival of Arab Heritage.
Muhammad bin Ahmed Al-Ansari Al-Qurtubi. (2006). The comprehensive of the provisions of the Qur'an. Beirut: Al-Resala Foundation.
Muhammad Thana Allah Al-Mazhari. (2004). Al-Mutahhari interpretation. Beirut: Heritage Revival House.
Muhammad Shahrour. (2012). Quranic stories. Beirut: Dar Al-Saqi.
Mahmoud bin Omar Al-Zamakhshari. (1998). Scout. Riyadh: Obeikan Library.
Youssef Hatini. (d.t.). Features of the Qur'anic narrative, a study of patterns of intent, reception, characters, and narrative environment. Damascus: Arab Writers Union Publications.

View publication stats